

مقالة الرأي

إشكالية العلاقة بين الديمقراطية والذكاء الاصطناعي في ظل التحولات العالمية

احمد حسن

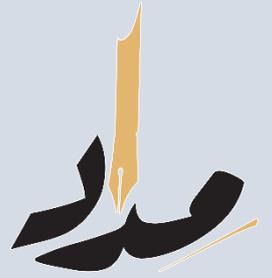


مداد مشروعٌ بحثي يعنى بتقديم اوراق وافكار دقيقة عبر سلاسل، وحلقات متكاملة، تحاول ان تغطي الطيف الواسع من المشكلات التي تواجه قطاعات الدولة العراقية بكل اركانها، ويعتمد بشكل اساس على اوراق السياسات العامة، والسيمنار، والحوارات المعمقة، بين مختلف الاطراف، من صناع القرار في الحكومة التنفيذية، الى التشريعيين في مجلس النواب، فضلا عن الباحثين والخبراء في الجامعات ومؤسسات البحث العراقية، وهو احد مشاريع مركز رواق بغداد للسياسات العامة، و يعد هذا المشروع امتداداً للجهود الذي بذل على مدى خمس سنوات من عمر المركز الذي تأسس في العام 2019، اذ قدم خلال تلك السنوات عشرات الدراسات والمشاريع البحثية والأوراق التي نشرت في الموقع الإلكتروني لمركز رواق بغداد.

رئيس المركز عباس العنبري

مدير المشروع انور المؤمن

تصميم اية الحكيم



تعود حقوق النشر الى مشروع مداد البحثي والمؤسسة المالكة له، وبالإمكان الاستفادة والاقْتباس الجزئي من الاعمال البحثية مع الاشارة اليها، بالنماذج العلمية المعتمدة في كتابة المصادر، كما تجدر الاشارة الى انه لا يجوز استعمال هذه الدراسات او اعادة نشرها بأي شكل من الاشكال دون الحصول على اذن مسبق من المركز بالنسبة للمؤلف او الباحثين الاخرين.

وفيما يتعلق بأخلاء المسؤولية القانونية تجاه الاشخاص الطبيعيين او المعنويين فضلا عن الاحداث والقضايا، فأن مشروع مداد والمؤسسة المالكة له (مركز رواق بغداد) لا يتبى بالضرورة، الراء الواردة في هذه الدراسات التي تحمل اسماء مؤلفيها، ولا تعكس وجهة نظر فريق العمل للمركز او مجلس ادارته.

يمكن تحميل هذه الورقة مجاناً من الموقع الإلكتروني www.rewaqbaghdad.org

رقم الهاتف: 07845592793

البريد الإلكتروني: info@rewaqbaghdad.org

صفحة الفيس بوك: مركز رواق بغداد للسياسات العامة

صفحة الإنستغرام: RewaqBaghdad

قناة اليوتيوب: Rewaq Baghdad



إشكالية العلاقة بين الديمقراطية والذكاء الاصطناعي في ظل التحولات العالمية

احمد حسن



لظالما كانت الديمقراطية أحد أعمدة النظام السياسي الحديث، تعكس إرادة الشعوب وتفتح الآفاق لتحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة. غير أن التطور السريع في تقنيات الذكاء الاصطناعي أدخل عنصرًا جديدًا إلى هذه المعادلة، عنصرًا يتجاوز كونه مجرد أداة تقنية إلى كونه تحديًا فلسفيًا وأخلاقيًا للنظام الديمقراطي ذاته. في ظل هذه التحولات، يُثار تساؤل جوهري: هل الذكاء الاصطناعي أداة لتعزيز الديمقراطية أم تهديد لأسسها؟

إن النقاش حول هذا الموضوع لا يمكن أن يُختزل في مسألة التقنية بحد ذاتها؛ فالأمر يتجاوز حدود البرمجيات والأنظمة إلى قلب الأسئلة الإنسانية الكبرى حول السلطة، الحرية، والمساواة. الذكاء الاصطناعي لا يُشكّل فقط وسيلة لمعالجة البيانات واتخاذ القرارات، بل يمتلك قدرة هائلة على تشكيل السلوك البشري والتأثير في العملية السياسية بطرق غير مسبوقة.

في سياق الديمقراطيات الحديثة، يُنظر إلى الذكاء الاصطناعي كأداة قادرة على تحسين جودة الخدمات العامة، تعزيز الشفافية، ودعم صنّاع القرار بمعلومات دقيقة. على سبيل المثال، يمكن استخدام الذكاء الاصطناعي لتحليل البيانات الانتخابية واكتشاف الأنماط التي قد تساعد في تحقيق انتخابات أكثر نزاهة. كما يمكن أن تسهم الخوارزميات المتقدمة في مكافحة الفساد من خلال رصد الأنشطة المشبوهة داخل مؤسسات الدولة.

لكن هذه الصورة الإيجابية تخفي تحتها مخاوف عميقة. أحد أبرز هذه المخاوف يتعلق بتحول الذكاء الاصطناعي إلى أداة في أيدي الأنظمة غير الديمقراطية، حيث يُستخدم لمراقبة الأفراد وقمع الحريات. تقنيات مثل التعرف على الوجه وتحليل السلوك تُوظف في بعض الأنظمة الاستبدادية لتعزيز السيطرة على الشعوب، وهو ما يضع حدودًا خطيرة بين الابتكار التكنولوجي وحقوق الإنسان.

على الجانب الآخر، تواجه الديمقراطيات تحديًا من نوع آخر يتمثل في "التحيز الخوارزمي". فالأنظمة الذكية لا تعمل في فراغ، بل تُبنى على بيانات يتم جمعها وتصنيفها بواسطة البشر. إذا كانت هذه البيانات تحمل تحيزات معينة، سواء كانت متعلقة بالجنس، العرق، أو الطبقة الاجتماعية، فإن الذكاء الاصطناعي يُعيد إنتاج هذه التحيزات بل ويضخمها. وبالتالي، يتحول الذكاء الاصطناعي من أداة لتحقيق العدالة إلى أداة لتعميق الانقسامات الاجتماعية.

الجانب الأخلاقي لهذا النقاش لا يقل أهمية عن الجوانب التقنية والسياسية. الذكاء الاصطناعي، بقدرته على تحليل البيانات واتخاذ القرارات، يطرح تساؤلات حول مفهوم "الإرادة الحرة". إذا كانت الخوارزميات قادرة على التنبؤ بسلوك البشر وتوجيهه، فهل يمكن أن نتحدث حقًا عن اختيار حر؟ هذا السؤال يقودنا إلى إعادة النظر في مفهوم الحرية ذاته، ليس فقط في سياق الديمقراطية، بل في صميم التجربة الإنسانية ككل.

في هذا السياق، يمكننا استدعاء تجربة الدول التي تسعى لتحقيق توازن بين الذكاء الاصطناعي والمبادئ الديمقراطية. الاتحاد الأوروبي، على سبيل المثال، يعمل على صياغة قوانين صارمة لتنظيم استخدام الذكاء الاصطناعي، تهدف إلى حماية الخصوصية وضمان الشفافية في تصميم الخوارزميات. هذه الجهود تمثل خطوة في الاتجاه الصحيح، لكنها تواجه تحديات هائلة في مواجهة القوى الاقتصادية الكبرى التي

تسعى لاستغلال تقنيات الذكاء الاصطناعي لتحقيق أرباح طائلة، بغض النظر عن التكاليف الاجتماعية والأخلاقية.

التحدي الأكبر الذي يواجه الديمقراطيات الحديثة يتمثل في إعادة تعريف العلاقة بين الإنسان والتكنولوجيا. إذا كان الذكاء الاصطناعي قادرًا على تحليل البيانات واتخاذ القرارات بشكل يفوق قدرات البشر، فما هو دور الإنسان في هذه المعادلة؟ هل يتحول إلى مجرد منفذ لتوصيات الآلة، أم يبقى صاحب القرار النهائي؟

الإجابة على هذا السؤال تتطلب رؤية فلسفية تتجاوز النقاشات التقنية الضيقة. على غرار ما قاله المفكر الألماني يورغن هابرماس، فإن الديمقراطية ليست مجرد نظام سياسي، بل هي تجربة جماعية تنطوي على التواصل المستمر بين الأفراد. إذا كان الذكاء الاصطناعي قادرًا على تعزيز هذا التواصل من خلال توفير معلومات دقيقة وتحليل معمق، فإنه يصبح حليفًا للديمقراطية. أما إذا تحول إلى أداة لعزل الأفراد واستبدال الحوار الإنساني بخوارزميات جامدة، فإنه يشكل خطرًا على جوهر الديمقراطية ذاته.

من جهة أخرى، يجب أن نعترف بأن الذكاء الاصطناعي لا يعمل بمعزل عن البشر الذين يطورونه ويشغلونه. لذلك، فإن المسؤولية تقع على عاتق المبرمجين وصناع القرار لضمان أن تكون هذه التكنولوجيا في خدمة الإنسانية، لا ضدها. وهنا يظهر مفهوم "الأخلاق الخوارزمية"، الذي يدعو إلى وضع مبادئ أخلاقية توجه تصميم واستخدام الذكاء الاصطناعي.

إن الدمج بين الديمقراطية والذكاء الاصطناعي لا يمكن أن يكون عملية سهلة أو خالية من التوترات. لكنه يمثل فرصة لإعادة التفكير في مفاهيمنا التقليدية حول السلطة، الحرية، والعدالة. الذكاء الاصطناعي قد يكون الأداة التي تُسهم في تطوير نظم حكم أكثر عدالة واستدامة، بشرط أن يتم استخدامه بحكمة ورؤية إنسانية.

هذا التحدي يتطلب منا جميعًا، سواء كنا مبرمجين، باحثين، أو مواطنين عاديين، أن نشارك في صياغة المستقبل. الذكاء الاصطناعي ليس مجرد أداة تقنية؛ إنه انعكاس لطموحاتنا وخوفنا، لآمالنا وأحلامنا. وإذا كان هناك درس يمكن أن نتعلمه من التاريخ، فهو أن التقدم الحقيقي لا يتحقق إلا عندما نضع الإنسان، بقيمه وكرامته، في مركز كل ابتكار.